﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٢٩﴾ [فصّلت: 29]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

بعد المـوادَّة والمـخـادنـة والـوسـوسـةِ والتَّزيين طَلَبُ التَّشفّي مِن المُضلّين

لما بيَّن تعالى في الآيةِ السّابقة أنَّ الَّذي حَمَلَ المُعذَّبين على الكُفْرِ الموجِبِ لِلعِقابِ الشَّديدِ هو مُجالَسَةُ قُرَناءِ السّوءِ؛ بيَّن أنَّ الكُفّارَ عِندَ الوُقوعِ في العَذابِ الشَّديدِ يُلِحّون في التَّشفّي ممَّن أضلَّهم بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَرِنَا﴾: (رأي) أصلٌ يدلُّ على نظرٍ وإبصارٍ بعينٍ أو بصيرة[2]، والرُّؤية بالضَّمِّ: إدراكُ المَرئيِّ، وذلك أضرب، الأوَّل: النَّظرُ بالعينِ التي هي الحاسَّةُ وما يجري مجراها، والثّاني: بالوهم والتَّخيُّل، والثّالثُ: بالتَّفكُّر، والرّابع: بالقلبِ، أي: بالعقل[3]، والرُّؤْية: النَّظرُ بالعينِ والقلب، والرُّؤْيةُ بالعين يتعدّى إلى مفعولٍ واحدٍ، وبمعنى العِلم يتعدّى إلى مفعولين[4]، والمقصودُ بالرُّؤيةِ في الآية: الرُّؤيةُ بالعين، أي: أبصرنا اللَّذَيْنِ أضَلّانا[5]، والمراد: أعْطِناهُما[6]، أو عَيِّنْ لَنا؛ كنايةً عن إرادةِ انتقامِهم منهم[7].

2) ﴿أَضَلَّانَا﴾: (ضلل) أصلٌ يدلُّ على ضياعِ الشَّيءِ وذهابِهِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 559.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رأى).
(3) الرّاغب، المفردات: (رأى).
(4) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (رأي).
(5) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 25/ 362.
(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 12.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 280.

في غيرِ حَقِّه، وكلُّ جائرٍ عن القَصْدِ ضالٌّ[1]، والضَّلَلُ: ضِدُّ الهدى والرَّشاد، وفَقْدُ ما يوَصِّل إلى المطلوبِ، والضَّلالُ يُقال لِكُلِّ عُدولٍ عن الحَقِّ، وعن الطَّريقِ المُسْتَقيم، عَمْدًا كانَ أو سَهْوًا، يَسيرًا كان أو كثيرًا[2]، وضلَّ الشَّيءُ: خفيَ، وغابَ[3]، والإضْلالُ في كَلامِ العَرَبِ: ضِدُّ الهدايةِ والإرشادِ، يُقالُ: أضْلَلْتُ فُلانًا؛ إذا وجَّهتَهُ للضَّلالِ عن الطَّريق، فلم تُرشدْهُ[4]، ومعنى ﴿أَضَلَّانَا﴾ في الآية: حَمَلانا على الضَّلال، وسنّا لنا الكفرَ والمعصيةَ بالتَّسويلِ والتَّزيين[5].

3) ﴿ٱلْأَسْفَلِينَ﴾: أصْلُ (سفل) ما كانَ خِلافَ العُلوِّ[6]، وسَفُلَ فهو سافِلٌ، والأسفلُ ضِدُّ الأعلى، وقد قوبِل بـ(فَوْق) في قوله: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب: 10]، والسَّفِلَةُ مِنَ النّاس: النَّذْلُ، نحو الدّونِ[7]، ويأتي بمعنى الخُسرانِ لأهلِ العقوبة: ﴿فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الصّافات: 98]، أي: الأخسرين في العقوبة[8]، والمَقصودُ بـ ﴿ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ هنا، أي: ليكونا في أشدِّ العذاب في الدَّركِ الأسفل مِنَ النّار[9]، فهما أشدُّ حقارةً من حقارةِ هؤلاء الذين كفروا[10]، فيكونا مِنَ الأذلّين المُهانين[11].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يَحكي اللّهُ تعالى بعضَ أقوالِ الكافرين الَّتي يقولونَها وهم في النّارِ؛ حِنقًا على مَن أضلَّهم، فيقولُ: وقال الَّذين كَفَروا باللّهِ ورسولِه يومَ

حَنَقُ المخدوعين وتَحَرُّقُهم على الانتقام وسؤالُهم تضعيفَ عذابِ مَن أضلَّهم

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضل).
(2) الرّاغب، المفردات، والزّبيديّ، تاج العروس: (ضلل).
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ضلل).
(4) الواحديّ، التّفسير البسيط: 5/ 342.
(5) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 25/ 362.
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (سفل).
(7) الرّاغب، المفردات: (سفل).
(8) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 2/ 158.
(9) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 463.
(10) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 281.
(11) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 25/ 362.

القيامة بعد ما أُدْخِلوا جهنَّم: يا رَبَّنا أرِنا اللَّذَينِ أضلّانا عن الحَقِّ من خَلْقِكَ من جِنِّهم وإنسِهم نجعَلْهُما تحتَ أقدامِنا؛ ليَكونا دونَنا وأشَدَّ منّا في العذابِ، في الدَّركِ الأسفلِ من النّار، فنَشْتَفيَ منهما[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو ودلالتُها في ﴿وَقَالَ﴾:

إتمامُ بيانِ حالِهم في العذابِ أو خَنقِهم على جُلودهم والمُضلّين

الواو في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ عاطفةٌ، والمعطوفُ عليه إمّا جملةُ: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾، أي: ويَقولونَ ذلك في جَهنَّم[2]، أو جملة: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ﴾؛ إذ إنَّهم لمّا تَراءى لَهُم أنَّ الَّذي أوْجَبَ لَهم هَذا السّوءَ جُلودُهم بالشَّهادَةِ عَلَيهِم، وقُرَناؤُهم بإضلالِهم لَهم، وكانَ التَّباغُضُ والعَداوَةُ قَد وقَعَ بَينَ الجَميعِ، فَصارَ تَمَنّي كُلٍّ لِلآخَرِ السّوءَ زيادَةً في عَذابِهم، وكانَت مَساءَةُ جُلودِهم مَساءَتَهُم؛ خَصّوا القُرَناءَ بإرادَةِ الانتقامِ مِنهُم، فَحَكى سُبحانَهُ قَولَهم بقَولِهِ عَطفًا على خِطابِهم لجلودِهم، أو عَلى ما تَقديرُهُ: (فَعَلِموا حينَئِذٍ أنَّهم كانوا عَلى ضَلالٍ لِتَقصيرِهِم في النَّظَرِ وتَقليدِهِم لِغَيرِهِم).

دلالةُ التَّعبير بالماضي (قال):

في تأكيدِ وقوعِ خَنقِ الكافرين على المُضلّين لهم دعوةٌ للحَذرِ منهم في الدُّنيا

ذكرَ البيانُ القرآنيُّ (قال) بلفظِ الماضي، والمراد المستقبل[3] - إذِ المرادُ حكايةُ حالِهم يومَ القيامة، وهم يُعذَّبون في النّار - للدَّلالةِ على تحقُّقِ وقوعِ قولِ الكافرين، وهم في النّار بطلبِ رؤيةِ الَّذين أضلّوهم؛ لكي يدوسوهم بأقدامِهم انتقامًا منهُم أو يجعلوهما في الدَّركِ الأسفلِ في النّار[4]، وفي هذا تخويفٌ وتحذيرٌ شديدٌ للكافرين المُخاطَبين من قُرناءِ السّوءِ ودعوةٌ لتركِهم والتَّبرّي منهم في الحياةِ الدُّنيا قبلَ فواتِ الأوان.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 462.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 280.
(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 357.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 280.

الغرضُ مِن التَّعبير باسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:

صدورُ الحَنقِ وطَلَبُ الانتقامِ من جميعِ الكافرين يُؤكِّدُ دعوتَهم للتَّوبةِ

لو عبَّر البيانُ الحكيمُ بالاسمِ الظّاهر، فقال: (قال الكفار: ربَّنا أرنا)؛ لَما أعطتنا الآيةُ العمومَ الَّذي يدلُّ عليه الاسمُ الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾، فالقولُ قد صدرَ من جميعِ الكافرين المُعذَّبين في النّار، وفي هذا تخويفٌ شديدٌ للمخاطَبين يُؤكِّدُ دعوتَهم للتَّبرّي من صلةِ الوسوسة والإغواءِ، والتَّعلُّقِ بصِلةِ النُّصح والولاء، ولأنَّ في ذِكْرِ الاسمِ الموصول إظهارًا لِما هوفي موضعِ الإضمار، فلم يقل: (وقالوا)، وذلك لكونِ هذا القَول مغايرًا للقَول الأوَّل من جهةِ المكان[1]؛ إذ إنَّهم قالوا هذا القول، وهم في النّار.

الغرضُ مِن العدولِ عن التَّعبير بالمستقبل إلى التَّعبير بالماضي:

الكفرُ ممَّن في النّار قد وقعَ وتحقَّقَ وأصرّوا عليه، فكان سببَ ما هم عليه

عَدَلَ البيانُ القرآنيُّ عن المضارع المستقبل إلى الماضي في قوله: ﴿كَفَرُواْ﴾، ولم يقل: (وقال الذين يكفرون)؛ لكونِ الحديثِ عن أمرٍ مضى، وعن حالٍ منهم قد تحقَّق، وللتَّأكيدِ على تحقُّقِ وقوعِ الكفرِ منهم في الدُّنيا وإصرارِهم عليه، حتّى حَلّوا بسببِهِ في النّار، رغمَ النُّذُر الَّتي لم تنقطِعْ من اللّهِ سبحانه.

الغرضُ من التَّعبير بأسلوب النِّداء، وسرُّ حَذفِ حرفِ النِّداء:

المُعذَّبون في نارِ جهنَّم مقهورون لا يكونُ منهم إلّا الخضوعُ للهِ والتَّعظيمُ له

حُذِفَ حرفُ النِّداء (الياء) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا﴾؛ ليُصَوِّرَ لنا قُرْبَ المُنادى ﴿رَبَّنَآ﴾ سبحانه، وقوَّةَ سلطانِه على كلِّ شيء؛ إذ إنَّ معنى الرَّبِّ هو المُربّي والسَّيِّد والمالك، وهو بهذه المعاني مِن شأنه أن يكونَ قريبًا حاضرًا لا يحتاجُ في ندائِهِ إلى وسائط، وقد كَثُرَ حذفُ الياء في نداءِ الرَّبِّ سبحانه؛ للدَّلالة على التَّعظيم والتَّنزيه؛ لأنَّ النِّداءَ يتشرَّبُ معنى الأمر، وبالحذفِ يزولُ معنى الأمر، ويتمخَّضُ التَّعظيمُ والإجلال[2]، ولأنَّ كلمة (ربّ) أكثرُ

(1) القونوي وابن التَّمجيد، حاشيتان على البيضاويّ: 17/ 156.
(2) الزّركشيّ، البرهان: 3/ 213.

استعمالًا من غيرِها في الدُّعاء؛ فروعيَ فيها من جهاتِ التَّخفيف ما يجعلُها أطوعَ في الألسنةِ، وأسهلَ في مجاري الحديث[1].

الغرضُ من الإضافة في ﴿رَبَّنَآ﴾:

استعطافُ الكافرين للهِ سبحانه أنْ يجيبَ دعوتهم

تشيرُ الإضافةُ في قوله: ﴿رَبَّنَآ﴾ إلى استعطافِ الكافرينَ للّهِ سبحانه أنْ يجيبَ دعوتَهم، والمعنى: أيُّها الَّذي لَم يَقْطَعْ قَطُّ إحسانَهُ عَنّا[2]، وفيها إلماحٌ إلى إقرارِهم ومعرفتهم يقينًا بأنَّه سبحانه هو الرَّبُّ المالكُ المُحسنُ إلى عباده.

إيثارُ التَّعبير بفعل ﴿أَرِنَا﴾ دونَ غيرِه:

إيجازُ اللَّفظِ واتِّساعُ المعنى بلاغةٌ قرآنيَّة

الفعل (أرِ) في قوله تعالى: ﴿أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا﴾ فعلُ أمرٍ، ماضيه (رأى)، وقد آثرَ البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ به دونَ (أبْصِرنا) أو (أعْلِمنا) أو (عَيِّن لنا) أو (أعْطِنا)؛ لكونِ (أرِنا) تشملُ المعاني الأربعةَ، وهذا من بابِ الإيجاز بأنْ يُعبَّر بفعلٍ حاملٍ معانيَ مطلوبةً في الآية، ويكون الَّذين كفروا قد طلبوا في النارِ أنْ يُبَصِّرَهمُ اللّهُ المُضلّين، وأن يُعْلِمَهم بهم، وأن يُعَيِّنَهم لهم، وأن يُعطيَهم إيّاهم باعتبار قراءة (أرْنا).

غرضُ الأمر في الفعل ﴿أَرِنَا﴾:

توسُّلٌ وتَضَرُّعٌ يُظهِرُ سوءَ حالِ المُعذَّبين في النّار

الأمرُ في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا﴾ مِنَ الأدنى إلى الأعلى، وغَرضُه: الاستعطافُ والتَّضرُّعُ والتَّوسُّلُ، بما يُظْهِر سوءَ حالِ المُعَذَّبين في النّار، فالكافرون في النّار يتوسَّلون، ويتضرَّعون إلى ربِّهم طالبين أنْ يُبَصِّرَهم المُضلّين، وأنْ يُعْلِمَهم بهم؛ ليَتَشفَّوا منهم.

توجيهُ القراءات في الفعل ﴿أَرِنَا﴾:

في قولِهِ تعالى: ﴿أَرِنَا﴾ قراءتان[3]، فقد قَرَأ ابْنُ كَثيرٍ وابْنُ عامِرٍ

(1) المطعني، خصائص التّعبير القرآنيّ: 2/ 8.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 181.
(3) ابن الجزريّ، شرح طيبة النّشر، ص: 186.

ويَعْقوبُ وشُعبة (أرْنا) بالسُّكون لِلاستِعْطاءِ، والمعنى: أعْطِنا، أو مَكِّنّا اللَّذين أضَلّانا، نَدوسُهُما تَحْتَ أقْدامِنا انتِقامًا مِنهُما، وقرأ الباقون: ﴿أَرِنَا﴾ بالكَسرِ لِلاستِبْصارِ، والمعنى: أبْصِرْنا اللَّذينِ أضَلّانا نَدوسُهُما تَحْتَ أقْدامِنا[1]، والجَمعُ بين الاستعطاءِ والاستبصارِ بيانٌ لمدى حنقِ الكافرين وتحرُّقهم للانتقامِ ممَّن أضلَّهم من الجنِّ والإنس.

الجمعُ بين الاستعطاء والاستبصار بيانٌ لمدى حَنقِ الكافرين وتَحرُّقِهم للانتقام

دلالةُ التَّعبيرِ بالمفعول به اسم موصول مثنى ﴿ٱلَّذَيۡنِ﴾:

عبَّرَ البيانُ القرآنيُّ عن المفعولِ به في قوله تعالى: ﴿أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا﴾ باسمِ موصولٍ مثنًّى مراد به الجنسُ لا الواحد ﴿ٱلَّذَيۡنِ﴾ دون الاسم الظّاهر، فلم يَقل: (أرِنا الصِّنْفَيْنِ المُضلَّين لنا)؛ للإيذانِ بعِلَّةِ استحقاقِ هذَين الصِّنفين لهذا الجَعْلِ، تحتَ الأقدامِ والتَّحقير والإهانةِ لهما من قِبَلِ السّائلين لذلك، وهي إضلالُهم[2]، وللتَّشويق لِما بعدَه، ولإفادةِ العموم أيضًا، أي: أرِنا كلَّ مُغْوٍ لنا مِن هَذَين النَّوعَين، باعتبارِ لامِ الجنِّ والإنسِ جنسيَّةً[3]، وأمّا باعتبارها عهديَّةً؛ فالمقصودُ منهما إبليسُ وقابيلُ، كما ورد عن عليٍّ رضي الله عنه[4]، وعن السُّدّيِّ قال: "ما مِن كافرٍ يَدخلُ النّارَ إلّا وهو يَلْعنُ إبليسَ؛ لأنَّه أوَّلُ مَن سَنَّ الكفرَ، وما مِن عاصٍ يدخلُ النّارَ إلّا ويَلْعَنُ قابيلَ؛ لأنَّه أوَّلُ مَن سَنَّ المعصية"[5].

في الموصوليَّة إيذانٌ بعِلَّةِ استحقاقِ المُضلّين للدَّوسِ بالأقدامِ والتَّحقير

دلالةُ التَّعبيرِ بجملة الصِّلة فعلًا ماضيًا ﴿أَضَلَّانَا﴾:

التَّعبيرُ بصيغةِ الماضي في قوله: ﴿أَضَلَّانَا﴾ دونَ المضارع؛ لأنَّ الحديثَ عن أمرٍ قد وقعَ، ومضى، وتحقَّق في الماضي؛ إذ تزيينُ ارتكابِ السّوء خفيةً وجَهرًا، والإضلالُ كان في الدُّنيا، وفيه كذلك

الوسوسةُ والإغراءُ والإضلالُ من شياطينِ الإنسِ والجنِّ أمرٌ ماضٍ محقَّقٌ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 302، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 281.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 181.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 14.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 462، وأبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 302.
(5) البغويّ، معالم التّنزيل: 7/ 172.

التَّأكيدُ على تحقُّقِ وقوعِ الإضلالِ من شياطينِ الإنسِ والجنِّ، وهذا يبعثُ على الحَذَرِ والانتباهِ من الوقوعِ في إغواءِ الإنسِ والجنِّ.

معنى ﴿مِنَ﴾ ودلالتُها في قوله: ﴿مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾:

﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ للتَّبعيض، والمعنى: أرِنا الصِّنفَين المضلَّين مِن بعضِ الجنِّ والإنس، ويمكن أنْ تكونَ بيانيَّة عند مَن فسَّر الجنَّ بإبليسَ والنّاس بقابيل[1]، والمعنى: أرِنا اللَّذينِ أضلانا؛ وهما إبليسُ وقابيلُ؛ لأنَّهما أوَّلُ مَن سنَّ الضَّلالةَ.

في التَّبعيضيَّة دلالةٌ على كَثرةِ المُضلّين، وفي البيانيَّةِ بيانٌ لأوَّلِ من سَنَّ الضَّلالةَ

بلاغةُ الطِّباق في قوله: ﴿ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾:

من طباقِ الإيجاب في الآية الجَمْعُ بين لفظَي ﴿ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾، وغَرَضُهُ: الإشارةُ إلى كَثْرةِ الوسوسةِ والإغواء والإضلال لبني آدمَ باجتماع شياطين الجنِّ والإنس، وكذلك الإشارةُ إلى عظيمِ قُدرةِ الله في إذلالِهِ للمُضلّين مِنَ الثَّقلين بإدخالهم النّار، وقَهْرِهم بالعذاب.

كثرةُ إضلالِ بني آدمَ وإغوائِهم باجتماعِ شياطينِ الجِنِّ والإنسِ على ذلك

الغرضُ من البَدءِ بالجِنِّ:

البَدءُ بالجنِّ، وتقديمُه على الإنس؛ لأنَّ خَلْقَ الجنِّ أقدمُ، وأغربُ وأعجبُ، وأدلُّ على القدرة الإلَهيَّة، ولأنَّ الجنَّ أسبقُ في الإضلال، فقد كان بَدءُ الإغواء من إبليس لأبينا آدمَ في الجنَّة، كما أنَّه أنسبُ لمقامِ الإذلالِ للكافرين الذين كان من حالهم تعظيمُ الجنِّ واستعاذتهم بهم، وكذلك لمراعاةِ عادةِ القرآن الأغلبيَّةِ في تقديم الجنِّ على الإنس.

تقديمُ الجِنِّ لكونه أقدمَ خَلْقًا، وأسبقَ غوايةً، وأكثرَ مناسبةً

دلالةُ التَّعبير بجواب الطَّلب بالفعل ﴿نَجۡعَلۡهُمَا﴾:

التَّعبيرُ بلفظِ الجعل، وهو قوله تعالى: ﴿نَجۡعَلۡهُمَا﴾ دون غيره؛ لاتِّساع دلالته، فهو لفظٌ عامٌّ في الأفعالِ كلِّها، وهو أعمُّ مِنْ: فَعَلَ وصَنَعَ وسائرِ أخواتها، فهو يشملُ الوطءَ بالأقدام والرَّفس، أي: نجعل آحادَهم تحتَ

سَعةُ معاني الجَعلِ تُناسبُ شِدَّةَ حَنَقِ الكافرين وتفنُّنهم في إهانةِ المُضلّين

(1) القونوي وابن التَّمجيد، حاشيتان على البيضاويِّ: 17/ 157.

أقدام آحادِ جماعتنا انتقامًا منهُما[1]، ويشملُ الجَعْلُ الوضعَ تحتَ الأقدام في النّار؛ ليكونا مباشرين للنّار، ويكونا وقايةً بيننا وبينها، فتُخفَّف عنّا حرارتها نوعَ خِفَّةٍ[2]، أو نجعلهما في الدَّركِ الأسفلِ مِنَ النّار[3]، وهذا التَّعبير بهذه المعاني يتناسبُ مع إرادةِ انتقام المُعذَّبين وتشفّيهم ممَّن أضلّوهم، وجعلوهم تحتَ أمرِهم.

الغرضُ مِنَ التَّعبير بالكناية في ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾:

إرادةُ الكافرين وضْعَ مَن أضلَّهم، وأغواهم تحتَ أقدامِهم في قوله تعالى: ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ كنايةٌ تُفيدُ عدَّة معانٍ، وهي: الاستخفافُ، والاحتقارُ، والسَّيطرة، والقهر، والاستعلاء، والتَّعالي، والانتقامُ، والانتصار، والتَّحقيرُ، والإهانة، والإذلال[4]، وطلبُ أشدِّ العذاب لهم، أي: في أسفلِ طبقةٍ من النّار، وهي درَكُ المنافقين[5]، وهذه المعاني تُعزِّزُ مِن قوَّةِ التَّعبيرِ وتأثيرِه، وتدلُّ على مدى حَنَقِ الكافرين يومَ القيامة ممَّن أضلَّهم، وهي رسالةُ تحذيرٍ وتخويفٍ للكافرين في الدُّنيا من أنْ يصيبَهم هذا إنْ لم يعودوا إلى رُشدِهم، ويؤمنوا بربِّهم.

الجَعْلُ تحتَ الأقدام كنايةٌ بليغةٌ عن الاستخفافِ والاحتقارِ والانتقامِ والانتصارِ

الغرضُ مِن الإضافة في ﴿تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾:

إضافةُ ﴿تَحْتَ﴾ إلى ﴿أَقْدَامِنَا﴾ يُرادُ بها التَّحقيرُ والاستهانةُ بهؤلاء الذين سيُجعَلون تحتَ أقدامهم، وكذلك تخصيصُ هذا الجَعْلِ تحتَ أقدامهم، فهي ليستْ مجرَّدَ أقدام عامَّة، بل هي أقدامُهم بشكلٍ محدَّدٍ.

في الإضافةِ مزيدُ تحقيرٍ واستهانةٍ من الكافرين بمَن أضلَّهم

معنى اللّام ودلالتُها في ﴿لِيَكُونَا﴾:

اللّام في قوله تعالى: ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا﴾ للتَّعليل،

في التَّعليل تَوطِئةٌ لاستجابةِ اللهِ لطلبِ المُعذَّبين باستذلالِ المُضلّين

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/ 280.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 25/ 363.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 12.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 280.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 303.

والتَّعليلُ تَوطِئةٌ لاستِجابةِ اللّهِ تعالَى لهم أنْ يُرِيَهُما؛ لأنَّهم عَلِموا مِن غَضَبِ اللّهِ عليهم أنَّه أشَدُّ غَضَبًا على الفَريقَيْنِ المُضِلَّيْنِ، فتَوَسَّلوا بعَزْمِهم على الانتِقامِ منهم إلى تَيسيرِ تَمكينِهم مِنَ الانتِقامِ منهم[1].

معنى ﴿مِنَ﴾ ودلالتُها في ﴿مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾:

في التَّبعيضِ دلالةٌ على كَثرةِ المُضِلّين والمُغوين

﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ حرفُ جرٍّ للتَّبعيض، ودخولُها على لفظِ ﴿ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ يُفيدُ كونَ هؤلاءِ المُضِلّين من الجِنِّ والإنس من هذه الزُّمرةِ، زُمْرةِ الأسفلين، وهذه الصّيغة ﴿مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ من قبيلِ الكنايةِ الَّتي هي إثباتُ الشَّيء بإثباتِ مَلزومِه، وهي أبلغُ من التَّصريح.

الغرضُ مِن صيغة (أفعل) التَّفضيل، والجمع في ﴿ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾:

في التَّفضيلِ توكيدٌ لطلبِ زيادةِ العذابِ للمُضِلّين

التَّعبيرُ بصيغة (أفعل) التَّفضيل ﴿ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾؛ للدَّلالة على طلبِ زيادةِ العذاب للمُضِلّين، أي: ليكونا في أسْفَلِ طَبَقَةٍ مِنَ النّارِ، وهي أشَدُّ عَذابًا، وهي دَرْكُ المُنافِقينَ[2]، أو طلبِ زيادةِ التَّحقيرِ والإذلال لهما، أي: ليكونا في أدنى مقامٍ في مقابلِ ما كان لهم من مقامٍ ومكانةٍ عُليا في الحياة الدُّنيا، والتَّعبيرُ بصيغةِ الجمع ﴿ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾؛ للدَّلالةِ على كثرةِ المُضِلّين ممَّن يستحقّون أن يكونوا في الدَّرْكِ الأسفلِ مِنَ النّار.

❁ الفُروقُ المُعجَميَّةُ:

أسفل وتحت:

المُضِلّون لغيرهم في الدَّرْكِ الأسفلِ مِنَ النّار، وهم من الأذَلّين المُهانين

يشتركُ اللَّفظان في معنى الإشارة إلى الجهةِ والانخفاض، فأصلُ لفظ (سفل) في اللُّغة ما كانَ خِلافَ العُلوِّ[3]، والأسفلُ ضِدُّ الأعلى[4]، ولفظُ (تحت) نقيضُ (فوق)، وهي إحدى الجهات السِّتِّ المحيطةِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 281.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 303.
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (سفل).
(4) الرّاغب، المفردات: (سفل).

بالجِرْم[1]، إلّا أنَّ لفظَ (أسفل) بالإضافة إلى معنى الجهة فيه، فإنَّه يُعبِّرُ أيضًا عن معنى الدّونيَّة والانحطاط، والنَّذالة والخِسَّة، فسَفَلَةُ النّاس: الأنذال[2]، ويأتي بمعنى الخسرانِ لأهلِ العقوبة: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الصّافات: 98]، أي: الأخسرين في العقوبة[3]، وكذلك يتميَّز لفظ (أسفل) بأنَّه يُستعملُ في وصفِ شيءٍ متَّصل بعضُه ببعض، بينما لفظُ (تحت) يُستعملُ في المنفصلِ أو ما يمكن انفصالُهُ، فيقالُ: أسفلُ البئرِ، ولا يُقالُ: تحت البئر[4].

ومِن هنا كان استعمالُ لفظ ﴿ٱلْأَسْفَلِينَ﴾؛ لاتِّساعِ دلالةِ اللَّفظ، ولمناسبته للسّياق، فهُم أسفلُ النّار، وهي شيءٌ متَّصلٌ غيرُ منفصل، ومن ثَمَّ تضمَّن لفظُ ﴿ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ عدَّةَ معانٍ، فدلَّ على كونِهم الأخسرين في العقوبة[5]، فهُم في أشدِّ العذابِ في الدَّرْكِ الأسفل من النّار[6]، وهُم مِنَ الأذَلّين المُهانين[7]، وهم أشدُّ حقارةً من حقارةِ هؤلاء الذين كفروا[8].

(1) ابن منظور، لسان العرب: (تحت).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والسمين، عمدة الحفّاظ، وعمر، معجم اللّغة العربيّة: (سفل).
(3) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 2/ 158.
(4) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 61، والرّاغب، المفردات: (تحت).
(5) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 2/ 158.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 463.
(7) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 25/ 362.
(8) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 281.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والخمسون،
سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 52 ، 818 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-48-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 52 : المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-48-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0346315 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"